مقدمة

كان بشار يقول - فيما يروى عنه - إن له اثنتى عشرة ألف قصيدة "لعنها الله ولعن قائلها إذا لم يكن فى كل قصيدة بيت عين".

ولا ندرى أصحيح هذا أم غير صحيح، ولكن الذى ندريه أنه لم يبق من هذه الآلاف من القصائد والأبيات الجياد إلا حوالى ألف بيت، أو أكثر قليلا، مفرقة مبعثرة فى كتب الأدب، وليست كلها من عيون الشعر.

وحدثنى صديقى الأستاذ خير الدين الزركلى أن صديقنا خالد بك الحكيم - وهو الآن فى شبة الجزيرة العربية - جمع جملة كبيرة من شعر بشار. والأرجح أن ما جمع لا يخرج عما فى الكتب المنشورة.

وتفضل صديقى الأستاذ الدكور بشر فارس قيسر لى الاجتماع بالمستشرق الفرنسى المسيو ديمون، فأخبرنى أنه هو أيضا عنى بجمع شعر بشار، وعنده منه نحو ألف ومائتى بيت، وهى ما عثر عليه فى بطون الكتب.

وعلمت منه أيضا أنه اطلع فى تونس على جزء من ديوان بشار عند السيد "طاهر بن عاشور" فيه حوالى ستة آلاف بيت. ولكنه لا يذكر أهو جزء أول أو جزء أخير، فإن كتبه وأوراقه كلها فى فرنسا مد شبت الحرب. وأخبرنى أن هذا الجزء مكتوب بخط شرقى لا بأس به، لا بخط مغربى. وقد رفض السيد طاهر بن عاشور أن يبيعه، لأنه ضنين به، وحريص عليه، وقد قضى فى مراجعته عشرين سنة إلى الآن وفى نيته أن يطبعه هو وينشره، فعسى ولعل.

وأخبرنى المسيو ديمون أيضا أن فى لبنان أديبًا جمع طائفة كبيرة من شعر بشار ولكنه لا يظن أن فيها ما ليس معروفا.

وقد آثرت أن أنشر هذه البيانات مقرونة بشكرى لمن تفضلوا على بالإفضاء بها إلى - عسى أن تكون لها فائدة.

وأحسب أن لا حاجة بى إلى القول أن قلة ما بقى من شعر بشار يجعل كل بحث أو تحليل ناقصا أو عرضة للنقص فى المستقبل إذا ظهرت البقية المطلوبة.

ونحن نرجح أن يكون أكثر شعره - أو جانب كبير منه - قد ضاع، وذهب إلى غير رجعة، فقد ولد ونشأ بالبصرة، وفيها كان العلماء والفقهاء وأهل الاجتهاد وأصحاب الكلام، وقد عاداهم جميعا وأثار على نفسه ثقمة واصل بن عطاء زعيم المعتزلة، الذين انتشر مذهبهم حتى دخل فيه الخلفاء، وكانت البصرة مشهورة بكره اللهو والمجون والخلاعة وإيثار الجد والتقوى، حتى كانت وما يطيق المقام فيها العابثون والمجان وطلاب اللهو والغناء، ولا كانت هى تطيقهم أو تحتملهم على علاتهم، ولعل نقمة أهل الدين والصلاح، وخاصة المعتزلة، هى أكبر ما أصار شعر بشار إلى الضياع، وإن كانت ثم أسباب أخرى جرت عليه ذلك.

وليس يسعنا ذلك أن نقول اننا نشك فى كثير مما روى من أخبار بشار، وقد أشرنا إلى ذلك فى صلب الكتاب، وأكبر ظنا أنه ظلم ظلما مبينا، ولفقت عليه التهم وأخبار السوء كما صنع كثير من الشعر القبيح ودس عليه، فلم تكن مصيبته أن شعره ضاع معظمه فحسب، بل إنه طارت له على الزمن شهرة ليس أقبح منها ولا أسوأ، ولكنا لا نجد غير هذه الأخبار التى لا تطمئن

إلى كثير منها، ولا مرجح لنا فى سيرته سواها، وما يمكن أن يستخلص من القليل الباقى من شعره، ولا معول لنا إلا على ذلك، وهذا من سوء حظه أيضا، ونحن نشعر أننا نظلمه أو نخشى أن نكون ظالمين له، ولكنا لا نعرف لنا مع الأسف حيلة.

وقد آثرت أن أعرض سيرته وشعره وأحللهما على قدر ما يدخل فى طاقتى فى نطاق محدود من الورق. فإن كنت أصبت ووفقت فيها ولله الحمد، وإلا فإننى مستعد أن أتدارك النقص أو الخطأ متى تيسرت إعادة الطبع إذا تفضل على القراء بما يقعون عليه من ذلك.

ويحسن بى هنا أن أورد أسماء الكتب التى رجعت إليها واعتمدت عليها وأهمها:

المختار من شعر بشار - اختيار الخالديين وشرح البرقى

الأغانى - لأبى الفرج الاصفهانى

تاريخ بغداد - للخطيب البغدادى

نكت الهميان فى نكت العميان - للصفدى

التبصير فى الدين - للاسفراييني

تاريخ علماء بغداد - لابن رافع السلامى.

الفرق بين الفرق - للبغدادى

العمدة - لابن رشيق

الموضح - للمرزبانى

ديوان المعانى - للعسكرى

ابن خلكان

البيان والتبيين - للجاحظ

الأعلام - لخير الدين الزركلى

مراجعات فى الآداب والفنون - لعباس محمود العقاد

حديث الأربعاء - لطه حسين

مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (المجلدان التاسع والعاشر) ومن المراجع الانجليزية:

R. A Nicholson: A Literary History of The Arabs. H. A. R. Gibb: Arabic Thought and its place in History Dr. De Lacy OLeary: Aradic Thought and its

plac in History Sayed Amir Ali: A Short History of Saracens.

obeikandl.com